مخالفات لسانية في الجوانب العقديّة في المجتمع الأردني وتصحيحها

عبد الكريم نوفان عبيدات *

تاريخ وصول البحث: 2005/4/26م تاريخ قبول البحث: 2005/11/23م

ملخص

تتردد على ألسنة الناس في كل مجتمع من المجتمعات الإسلامية بعض الألفاظ التي تخالف العقيدة الإسلامية, دون الالتفات إلى خطورتها ومصادمتها للكتاب والسنة، وإن كانت هذه الألفاظ تصدر – في الغالب – عن حسن نية، ولكن الحكم لا يكون على نوايا الناس، لأن ذلك أمر لا يعلمه إلا الله تعالى، وإنما يكون الحكم على ظاهر الألفاظ

والدراسة التي بين أيدينا قامت على التقاط هذه الألفاظ من أفواه الناس في المجتمع الأردني, ومراد من تتردّد على ألسنتهم، ثم بيان وجه المخالفة فيها، وذلك استناداً إلى نصوص الكتاب والسنة، مع وضع الألفاظ البديلة لها، والتي تتفق مع العقيدة الإسلامية.

وبيّنت الدراسة أن الجهل بالإسلام، وتأثيرات الفرق الإسلامية والديانات المحرَّفة، كانت هي الأسباب المهمة في شيوع مثل هذه الألفاظ، وأن تبصير الناس بخطورة التلفظ بها هو السبيل للإقلاع عنها.

Abstract

People of Islamic societies often articulate some utterances that contradict the Islamic dogma with no attention to their danger and conflict of Koran and Sunna. Although such utterances are – often – produced in good faith, one cannot judge the intents of people, since it is something known by Allah and only Allah. What one may evaluate is the actual articulation of utterances.

This study aims at picking-up such utterances from everybody lips of the Jordanian Society.It studies the purpose(s) behind producing such utterances and the lingual foul(s) of each of them basing on the provisions of Koran and Sunna. The study provides alternatives for such utterances so as to be in harmony with the Islamic dogma.

The study shows that people ignorance of Islam and the effects of the various Islamic schools and the distorted religions are the main reasons of spreading such utterances. It also shows that enlightening people of the danger of these utterances is the best way for the desistance of such fouls.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وبعد:

فقد حرص الإسلام على حماية العقيدة الإسلامية من كل شيء يشوب صفاءها، أو يطمس نورها وفاعليتها في هداية الإنسان إلى الحق أو قدرتها على التأثير في مناحي الحياة المختلفة.

والمتأمل في نصوص الكتاب والسنة يلحظ مطاردة شديدة للشرك بكافة صوره وأشكاله، لأنه انتكاس في الفطرة البشرية ، وجحد لحق الله تعالى في الوحدانية، وتعطيل للطاقات الإنسانية في أن توجّه إلى ما يعود على البشرية بالخير في كل زمان ومكان.

ومع حرص الإسلام على حماية العقيدة من أدران الشرك، إلا أننا نلحظ أنه قد تسللت إلى المجتمع الإسلامي في أزمان متفاوتة بعض مظاهر الشرك وصوره: القوليّة والفعلية. ويعود ذلك إلى أسباب مختلفة تتمثل في: جهل بعض المسلمين بعقيدتهم، وبخطورة ما أحدثوا من الأقوال والأفعال، التي تتنافى مع هذه العقيدة الصافية. كما يرجع بعضها إلى تأثيرات الديانات المحرفة، كاليهودية والنصرانية، أو

* أستاذ مساعد، كلية الشريعة والقانون، جامعة إربد الأهلية.

إلى الفرق الإسلامية ، التي أحدثت في دين الله تعالى من المقالات الشنيعة المخالفة لجوهر العقيدة الحقّة.

وهذه الدراسة قامت على رصد لبعض المخالفات اللسانية في الجوانب العقدية في المجتمع الأردني، وإن كان قد وقع مثلها في بقية المجتمعات الإسلامية، منذ عصر الرسالة النبوية وإلى يومنا هذا.

والسبب في حصر هذه الدراسة على المجتمع الأردني: أن كثيراً من هذه الألفاظ قد شاعت في كل المجتمعات الإسلامية، واستقصاؤها يحتاج إلى جهد كبير، إذ أن لكل مجتمع مخالفات في جانب العقيدة، قد يتفق بعضها مع مجتمعات أخرى، وقد يختلف كثير منها من مجتمع إلى آخر. كما أن هذا العمل يحتاج إلى سفر ضخم، ينهض به كل الحريصين على صفاء العقيدة الإسلامية، من الباحثين والمهتمين في أرجاء العالم الإسلامي الكبير.

وكان أن قمت بجهد متواضع لحصر الأخطاء العقدية القوليّة المتعلقة بالله Y، والتي تتردد على ألْسنة الناس في المجتمع الأردني والذي نشر في بعض المجلات العلمية المحكّمة. ومن ثم فقد قصرْت هذه الدراسة على الأخطاء العقدية اللسانية في جوانب العقيدة الأخرى، ولا أزعم أنني استوعبت كل الأخطاء المتداولة في المجتمع الأردني، فهذا يحتاج إلى استقصاء دقيق. إذ كنت ألتقط كثيراً من هذه الألفاظ من أفواه الناس، في مجالسهم، وسائر أنشطتهم المختلفة، وكنت أدوّن ذلك مخافة النسيان، سائلاً الله أن يعين على استدراك ما فات في قابل الأيام.

ثم إنني لم أنفرد بهذا الأمر، فقد سبقني من العلماء من نبّه إلى هذه المخالفات، ودوّنوا ذلك في مؤلفات خاصة ومن ذلك:

1. النجاة من ألفاظ الكفر، لعرب شاه سليمان البكري الحنفي (ت 695هـ)[1].
2. رسالة في ألفاظ الكفر، لأبي علي بن محمد بن قطب الدين[2].
3. الإيضاح التام لبيان ما يقع على ألسنة العوام، للطيبي(ت 981هـ)[3].
4. ومن المعاصرين: بكر بن عبد الله أبو زيد، من علماء السعودية، في كتابه: معجم المناهي اللفظية، وهو سفر نفيس، جمع فيه عدداً كبيراً من الألفاظ المتداولة على ألسنة الناس، والتي تخالف العقيدة الإسلامية. إلى غير ذلك من الدراسات في هذا المجال.

ولكن الناس يحدثون في كل زمان من هذه الألفاظ ما لم يحدثه السابقون، كما أن لكل مجتمع ألفاظه، قد يتفق بعضها مع بعض المجتمعات كما أسلفت، وقد يختلف، ولكل طريقته في تناول هذه الألفاظ والتنبيه على مخالفتها للعقيدة الإسلامية، وهذا هو جديد هذه الدراسة من بعض الوجوه.

وتبرز أهمية هذه الدراسة في أن كثيراً من الناس في المجتمع الأردني, وفي غيره من المجتمعات، تتردد على ألسنتهم ألفاظ، لا يلتفتون إلى خطورة النطق بها، مع أن بعضها يودي بهم إلى الكفر, خاصة إذا كان المتلفظ بها يقصد ما تدل عليه من المعاني، مع أن الذين تصدر عنهم هذه الألفاظ – في الغالب – لا يقصدون المضامين الخطيرة التي تدل عليها, وإنما تصدر عنهم بحسن نية.

ولكننا في هذه الدراسة لم نلتفت إلى نوايا الناس، لأن ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى، وإنما يحكم على ظاهر الألفاظ، إذ أن كثيراً منها – كما سيأتي بيان ذلك – لا يصح التلفظ به، وذلك لمخالفته للعقيدة الإسلامية.

ومن رجع إلى أحاديث الرسول ε يجد أنه – عليه الصلاة والسلام– قد نهى الصحابة عن التلفظ بمثل هذه الألفاظ أو قريباً منها، مع علمه – عليه الصلاة والسلام – بحسن نوايا الصحابة ψ فليس الحكم على النوايا, ولكن على ما يظهر لنا من أقوال الناس.

وفي تنبيه الناس إلى خطورة هذه الألفاظ، إسهام في صيانة العقيدة الإسلامية عن كل ما يشوب صفاءها, وهو من التواصي بالحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والقيام بواجب الأمانة التي حملها الإنسان.

وقام منهجي في هذه الدراسة على تقسيم هذه المخالفات إلى مجموعات، كل مجموعة منها تتعلق بجانب من جوانب العقيدة، فأدوّن اللفظ المخالف وما يقاربه من الألفاظ، وقد أدوّن اللفظ كما يتردد على ألسنة الناس دون تغيير، مع أنه يخالف قواعد اللغة، وقد أصوّب اللفظ, ليتوافق مع قواعد اللغة، ثم أبيّن مراد القائل منه، واتبعه بعد ذلك ببيان وجه المخالفة للعقيدة الإسلامية، مستدلاً لذلك من الكتاب والسنة، ثم أصوّب اللفظ، بوضع الألفاظ البديلة، والتي تتفق مع العقيدة الصحيحة.

وجعلت هذه الدراسة في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول : مخالفات تتعلق بالحلف بغير الله تعالى.

المبحث الثاني : مخالفات تتعلق بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الثالث : مخالفات تتعلق بالغيب.

المبحث الرابع : مخالفات تتعلق بالقدر.

المبحث الخامس: المخالفات العقدية العامة.

الخاتمة : ولخصت فيها أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل التوفيق والسداد, وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم, إنه سميع مجيب الدعاء.

المبحث الأول

مخالفات تتعلق بالحلف بغير الله تعالى

معنى الحلف في اللغة والاصطلاح:

أ- **الحَلْفُ في اللغة**: يقال: حَلَفَ، يْحلفُ، حَلِفاً و حَلْفاً، ومَحلُوفا , ومَحلُوفة: أقسم بالله تعالى، فهو حالف، والحلاّف: كثير الحلف[4], قال تعالى: **[وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ]**[10: القلم]، أي مكثار للحلف.

والحلف واليمين والقسم بمعنى واحد، وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، كقوله تعالى:**[يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ]**[74: التوبة]، وفي اليمين قوله تعالى: **[وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا]** [91: النحل] وفي القسم قوله تعالى: **[وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ]**[55: الروم].

ب- الحلف في الاصطلاح: الحلف أو اليمين: تحقيق الأمر أو توكيده بذكر اسم الله تعالى, أو صفة من صفاته، أو هو: عقد يقوّي به الحالف عزمه على الفعل أو الترك[5].

وإذا كان الحلف فيه تعظيم للمحلوف به، فهذا لا يكون إلا لله تعالى، لأن الله وحده هو المختص بالتعظيم دون المخلوقات[6]، وعلى هذا فإن من حلف بالنبي أو الولي أو الشرف أو الأب، أو الأمانة أو الكعبة، أو غير ذلك، فقد ارتكب حراماً, لمخالفته للنصوص الواردة بالنهي عن الحلف بغير الله تعالى، كما سيأتي بيان ذلك.

أما الله تعالى فله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، فقد أقسم الله تعالى بالعديد من مخلوقاته، كقوله تعالى: **[وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا]**[1: الشمس]، وقوله: **[وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ]**[1: التين]، وأقسم بالليل والنهار فقال: **[وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى]**[1-2: الليل] وغير هذا كثير في القرآن.

ولعل الحكمة تتجلى في قسم الله تعالى بالمخلوقات هو لفت أنظار البشر إلى بديع صنع الله في الكون، وأخذ العبرة من ذلك، وصولاً إلى وحدانية الله تعالى.

والمتأمل في أحوال الناس اليوم يجد أن كثيراً منهم يحلفون بغير الله تعالى، ومن ذلك:

1 – الحلف بالآباء، كأن يقول بعضهم: وحياة أبيك، وشرف أبيك، وحياتك، وشرفك، ونحو ذلك من الألفاظ.

وجه المخالفة: أن الحلف فيه تعظيم للمحلوف به، وهذا لا يكون إلا لله تعالى، وقد ورد النهي عن الرسول ε بأن نحلف بالآباء، فعن نافع عن ابن عمر– رضي الله عنهما– أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وهو يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله ε: "ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله، وإلا فليصمت"[7].

وأما ما احتجّ به المجيزون للحلف بالآباء، فليس بحجة، وذلك في حق الذي سأل رسول الله ε عن شرائع الإسلام، فقال – عليه الصلاة والسلام – بعدما ولّى الرجل: "أفلح وأبيه إن صدق"[8]، فهذه رواية شاذة عند علماء الحديث، مخالفة للأحاديث الصحيحة، ويحتمل أن هذا تصحيف، والأصل: "أفلح والله"، فصحّفه بعض الكتّاب أو الرواة [9]، وذكر النووي أن قوله ε: "أفلح وأبيه إن صدق" ليس حلفاً، إنما هو كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها في كلامها، غير قاصدة بها حقيقة الحلف، والنهي إنما ورد فيمن قصد حقيقة الحلف لما فيه من إعظام المحلوف به ومضاهاته به الله I، وقيل: يحتمل أن يكون هذا قبل النهي عن الحلف بغير الله تعالى[10].

وذكر الخطابي[11] أن هذا اللفظ جرى من الرسول ε على عادة الكلام الجاري على الألسن، وهو لا يقصد به القسم، كلغو اليمين المعفو عنه.

2 –**الحلف بالأمانة:** كما يقول بعض الناس: بالأمانة، قاصداً بذلك الحلف، أو التحقق من أن القائل صادق في قوله.

وهذا لا يجوز، وذلك للعلة المتقدمة في المخالفة السابقة. والدليل على عدم جواز الحلف بالأمانة: حديث بريدة τ، أن رسول الله ε قال: "من حلف بالأمانة فليس منا" [12]، وذكر الخطابي (ت 388هـ) أن وجه الكراهة في الحلف بالأمانة: "من أجل أنه إنما أمر أن يحلف بالله وبصفاته، وليست الأمانة من صفاته، وإنما هي أمر من أمره، وفرض من فروضه، فنهوا عنه، لما في ذلك من التسوية بينهما وبين أسماء الله Y وصفاته"[13].

3 – بجاه النبي، أو: والنبي:

وهو نوع من الحلف، جاء بصيغة القسم والتوسل بجاه النبي ε ، يطلب فيه القائل من الموجّه إليه الكلام الاستجابة لطلبه بفعل شيء أو تركه.

وهذا خطــأ: لأن الحلف لا يكون إلا بالله تعـــالى كما تقدم. وإن كان توسلاً، فمن المعلوم أن هذا ليس من صيغ التوسل المشروع "فالأنبياء وغيرهم من المخلوقين لا يستحقون ما يستحقه الله تبارك وتعالى من خصائص، فلا يشرك بهم، ولا يتوكل عليهم، ولا يستغاث بهم كما يستغاث بالله، ولا يقسم على الله بهم، ولا يتوسل بذواتهم، وإنما يتوسل بالإيمان بهم وبمحبتهم وطاعتهم وموالاتهم، وتعزيرهم وتوقيرهم، ومعاداة من عاداهم، وطاعتهم فيما أمروا، وتصديقهم فيما أخبروا، وتحليل ما حلّلوه، وتحريم ما حرّموه"[14].

"ثم إن الوسيلة لا تكون وسيلة إلا إذا كان لها أثر في حصول المقصود، وجاه النبي ε بالنسبة للداعي، ليس له أثر في حصول المقصود، وإذا لم يكن له أثر، لم يكن سبباً صحيحاً، والله Y لا يدعى إلا بما يكون سبباً صحيحاً له أثر في حصول المطلوب، فجاه النبي ε هو مما يختص به النبي ε، وهو مما يكون مَنْقبة له وحده، أما نحن فلسنا ننتفع بذلك، وإنما ننتفع بالإيمان بالرسول ε ومحبته"[15].

والصواب: الحلف بأسماء الله تعالى وصفاته، كأن نقول: والله العظيم، والرحمن، ونحو ذلك.

وأما التوسل المشروع في مثل هذه الحالة فهو: التوسل بدعاء النبي ε وشفاعته، وهذا قد انتهى بموت الرسول ε، وطلب الشفاعة أن نسأل الله تعالى أن يشفّع فينا نبيّه عليه الصلاة والسلام.

وأما بعد موته فيقول المتوسل: اللهم بمحبّتي لنبيك وتصديقي به واتّباعي له.

أما ما استدل به القائلون بجواز التوسل بجاه النبي ε وهو قوله: "إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم"، فقد قال عنه ابن تيمية: "هذا الحديث كذب, ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث, ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث, مع أن جـاهه عند الله أعظم من جاه جميـع الأنبياء والمرسلين[16]".

المبحث الثاني

مخالفات تتعلق بالرسل عليهم الصلاة والسلام

كان حب الصحابة ψ والتابعين ومن بعدهم من المسلمين لرسول الله ε حباً كبيراً، فيه التوقير والاحترام له، كما قال الله تعالى: **[لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ]**[9: الفتح] ومعنى (تعزّروه): تعظّموه، (وتوقّروه)، من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام[17]، وذكر ابن تيمية أن التعزير "اسم جامع لنصرته عليه الصلاة والسلام وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه.

والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار"[18]. والتعظيم أعلى منزلة من المحبة، لأن المحبوب لا يلزم أن يكون معظَّماً، كالولد يحبه والده، محبة تدعوه إلى تكريمه دون تعظيمه، بخلاف محبة الولد لأبيه، فإنها تدعوه إلى تعظيمه" [19]، وتتحقق هذه المحبة للرسول ε بتقديم محبته على النفس والوالد والولد، والناس أجمعين، إذ لا يتم الإيمان إلا بذلك، فعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ε وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ε : "لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك"، فقال له عمر: فإنه الآن والله، لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال النبي ε : "الآن يا عمر"[20]، أي: الآن عرفت، فنطقت بما يجب"[21].

وهذا الإجلال والاحترام والتوقير والمحبة للرسول ε لا يجوز أن يصل إلى حد الغلو فيه، بإضفاء صفات الألوهية عليه، كما فعل النصارى في المسيح υ، إذ حملهم الغلو فيه إلى أن جعلوه إلهاً أو ابنا لله، تعالى الله عما يقولون.

وكان من مظاهر هذا الغلو في النبي محمد ε وفي غيره من الأنبياء عليهم السلام ما يتردد على ألسنة بعض المسلمين اليوم من ألفاظ لا تتفق مع العقيدة الإسلامية.

ومن الناس – في المقابل – من قصَّر في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، فلم يوفيهم حقهم من التوقير والتعظيم والمحبة، فاستهان بهم, وجرت على ألسنة بعض الناس عبارات، فيها الانتقاص لهم.

ومن المعلوم أن نظرة الإسلام للرسل عليهم الصلاة والسلام – جاءت متميزة عن غيرها من الرسالات السماوية، وذلك بعد وقوع التحريف فيها, وهي نظرة متوازنة, لا إفراط فيها ولا تفريط, فهم – عليهم الصلاة والسلام – بشر يأكلون ويشربون, ويتزوجون ويمرضون ويموتون, إلى غير ذلك من الصفات البشرية, ولكنهم يتميزون عن سائر البشر بأن عصمهم الله تعالى عن الوقوع في المعاصي, وأوحى إليهم واصطفاهم بالرسالة من دون الناس, قال تعالى : **[اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ]**[75: الحج].

وفيما يلي نعرض لبعض الألفاظ المتداولة في حق الرسل عليهم السلام, والتي تخالف العقيدة الإسلامية:

1- التسمية بـ: عبد النبي وعبد الرسول، عبد الأمير، عبد المسيح:

ووجه المخالفة: أن العبودية أضيفت هنا إلى النبي والرسول، ولا يجوز ذلك شرعاً، لأن العبودية يجب أن تضاف إلى الله Y، قال تعالى: **[وَقَضَى رَبُّكَ**

أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا][23: الإسراء]. وقال: [**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي**][14: الزمر].

فالعبودية معناها: "إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال, وهو الله تعالى"[22].

والصواب: أن يسمى الإنسان: عبد الله وعبد الرحمن، وعبد الكريم ونحو ذلك من الأسماء التي تضاف فيها العبودية إلى الله تعالى، فقد روي عن ابن مسعود قال: قال ε : "أحب الأسماء إلى الله ما تعبد له"[23].

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – مرفوعاً: "إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن[24]".

وأما أسماء: عبد النبي وعبد الرسول، فيمكن تصحيحها بإضافة كلمة (رب)، فتكون: عبد رب النبي، وعبد رب الرسول، إذ إنها في هذه الحالة أضيفت فيها العبودية إلى الرب I.

2- لولا محمد ما خلق الكون، أو: الله خلق الكون من أجل محمد:

أراد القائل: تعظيم شأن الرسول ε وبيان منزلته عند الله Y.

ولكن هذا مخالف للعقيدة الإسلامية، ووجه المخالفة: أنه لم يرد في الكتاب والسنة ما يؤيد هذا، بل إن خلق الكون لم يرتبط بأحد من الناس، بل حتى ولا الملائكة عليهم السلام، وإنما كان الخلق لحكمة أرادها الله سبحانه، كما يعبر عن ذلك قوله تعالى: [**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا**][27: ص], وقوله : [**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ**] [16: الأنبياء], وقوله: [**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ**][85: الحجر].

وجاء بيان الحكمة من خلق الإنسان في قوله تعالى: [**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**][56: الذاريات]، وعلى هذا فإن خلق السماوات والأرض بالحق، أي بالعدل والقسط : [**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**][31: النجم]، وأنه – سبحانه – لم يخلق ذلك عبثاً ولا لعبا[25].

والصواب من القول: الإقلاع عن مثل هذه الألفاظ، لمنافاتها للعقيدة الإسلامية، واستبدالها بالصلاة على الرسول ε.

3- استجرت برسول الله:

وهي عبارة يقولها بعض الناس إذا ألمت به مصيبة أو وقع في ضيق، أو تعظيماً لأمر وقع.

والاستجارة: مأخوذة من الفعل: أجاره، أي: أنقذه وأعاذه، واستجار: طلب أن يجار[26].

ووجه المخالفة في هذه العبارة: أن الاستجارة بالرسول ε إذا كانت بمعنى الجوار فغير جائزة بعد موته، أما في حياته فجائزة، لقوله تعالى: [**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ**][6: التوبة].

والمعنى: وإن استجارك يا محمد أحد من المشركين الذين أمرت بقتالهم، فأجره، أي كن جاراً له مؤمناً محامياً، حتى يسمع كلام الله منك، ويقف على حقيقة ما تدعو إليه، ثم أبلغه إلى الدار التي يأمن فيها بعد أن يسمع كلام الله إن لم يسلم، ثم بعد أن تبلغه مأمنه قاتله، فقد خرج من جوارك، ورجع إلى ما كان عليه من إباحة دمه، ووجوب قتله حيث يوجد"[27].

ولكن الذين تتردد هذه العبارة على ألسنتهم في الوقت الحاضر، لا يقصدون طلب الجوار الذي تقدم ذكره وإنما يقصدون الالتجاء إلى الرسول ε ليدفع عنهم البلاء والمصائب وأنواع المكروهات التي تصيبهم، وهذا قطعاً شرك أكبر، لأن هذه الأمور لا يقدر على دفعها إلا الله Y، وهذا حال بعض المسلمين في زماننا، بما هو مشاهد في كثير من البلاد الإسلامية، حيث يذهبون إلى قبور من غلا فيهم بعض الناس إلى حد الكفر بالله تعالى، وأن تجد بعض المسلمين من يطوفون حول هذه القبور ويتمسحون بأحجارها، ويصلّون إليها، ويقبّلونها ويستلمونها،

ويعفّرون الخدود على ترابها، ويعبدون أصحابها، ويستغيثون بهم، ويسألونهم الرزق والعافية، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، والشفاء من الأمراض والأسقام، مما لا يقدر عليه إلا الله I.

والصواب: أن تجتنب هذه العبارات وتستبدل بمثل: استجرت بالله، وتوكلت على الله، اعتصمت بالله، لا حول ولا قوة إلا بالله، ونحو ذلك من الألفاظ، فالله سبحانه نعم الملجأ والمعين، وهو خير من يعتصم به ويتوكل عليه.

4- صلّ على كوم أو كمشة أنبياء:

أراد القائل: الصلاة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولكن هذا اللفظ خطأ، لأن فيه إساءة أدب مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إذ التعبير بـ (كوم) أو (كمشة) يوحي بالتحقير والاستخفاف، لأن (الكوم)" إنما يطلق على كل ما اجتمع وارتفع له رأس، من تراب أو رمل أو حجارة أو قمح، أو نحو ذلك" [28]، و (الكمشة) لم يعهد في اللغة إطلاقها على العدد، وإنما يراد بها:" الرّجل السريع، وكمشه بالسيف: قطع أطرافه، وتكمّش: أسرع, وانكمش: تقبّض واجتمع [29]، وإنما اعتاد الناس إطلاق هذا اللفظ على أخذ شيء بأصابع اليد من أجزاء متفرقة، قد تكون صنفاً واحداً في الغالب، وقد تكون من أصناف متعددة.

وبناءً على ما تقدم: لم يعهد في اللغة ولا في الشرع استعمال مثل هذا اللفظ في الصلاة والسلام على الرسل، إضافة إلى ما يشعر ظاهره بالتحقير والاستخفاف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ونحن مطالبون بالتأدب مع الأنبياء عليهم السلام، واستعمال كل لفظ يتناسب مع مقام النبوة، قال تعالى في حق نبينا عليه الصلاة والسلام: **[لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً]**[9: الفتح]، ومعنى(تُعَزِّرُوهُ): "تعظّموه وتفخّموه"[30]، فلا يتناسب التعظيم والتفخيم مع إطلاق مثل هذه الألفاظ.

والصواب: اجتناب هذا اللفظ، والصلاة على الرسل عليهم السلام بالصيغة المشروعة وهي: (صلى الله عليه وسلم) في حقّ نبينا، أو (صلى الله عليهم وسلم) في حقّ الأنبياء جميعاً.

المبحث الثالث

مخالفات تتعلق بالغيب

الغيب لغة: مصدر، يقال: غابت الشمس, إذا استترت عن العين وغاب عني كذا: أي توارى وخفي, قال تعالى: **[أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ]**[20: النمل]، واستعمل في كل غائب عن الحاسة وعما يغيب عن علم الإنسان ويخفى عليه, بمعنى الغائب[31]، قال تعالى: **[وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ]**[75: النمل]، وهذا في حق الإنسان، أما الله تعالى فلا يغيب عنه شيء، كما قال سبحانه: **[وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ]**[61: يونس].

وأما في الاصطلاح، فيراد بالغيب: "ما لا يقع تحت الحواس, ولا تقتضيه بداية العقول, وإنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام، وبدفعه [32] يقع على الإنسان اسم الالحاد"[33].

ولا سبيل للإنسان إلى معرفة الغيب، لأنه لا يملك الوسائل التي تؤهله للخوض فيه، وإنما يعلم الغيب عن طريق الوحي الصادق، وأي زعم من قبل بعض الناس بأنهم يعلمون ما غاب عن بني البشر، فإنه زعم كاذب، قال تعالى: **[عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ]**" [26-27: الجن]. فقد اختص الله وحده بعلم الغيب، إلا ما شاء الله من اطلاع الرسل عليهم السلام، لأنهم مؤيدون بالمعجزات، ومنها الإخبار عن بعض الغائبات، "وليس المنجّم ومن ضاهاه، ممن يضرب الحصى، وينظر في الكتب، ويزجر الطير ممن ارتضاه الله من رسول،

فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله، مفتر عليه، بحدسه وتخمينه وكذبه"[34].

ولكن الناظر في أحوال الناس اليوم، يجد أن بعضهم تصدر عنه أقوال تصادم هذه الحقيقة الشرعية، إذ أن ظاهر هذه الأقوال يدل على أن القائل يعلم ما طوى الله خبره عن الخلق، وإن لم يقصد قائلها – في الغالب – أنه يعلم الغيب، إذ لو أنه قصد ذلك، لكان مدعياً شيئاً اختص الله به، وهذا كفر بالله تعالى, ومن هذه الأقوال:

1- هذا ولد شقي، أو إنسان شقي

ويقال ذلك في حق بعـض الأولاد الذين تصـدر منهم تصرفات، لا تصدر من أقرانهم، أو تقال في حق إنسان أصيب بابتلاءات كثيرة، فلكثرة ما أصابه، كأن القائل جزم بشقاوته، بناءً على ما رأى في الظاهر.

ولكن الحكم بالسعادة أو الشقاوة لإنسان ما في الآخرة، هو من قبيل ادعاء علم الغيب الذي اختص الله به، وإن كان قصد القائل أن هذا الولد أو الإنسان قد كتبت عليه الشقاوة في اللوح المحفوظ، مما سبق به علم الله تعالى، فهذا أيضاً لا يعلمه إلا الله سبحانه.

والتصرفات التي تصدر من الأطفال إنما تعود لاستعدادات فطرية أو لأسباب تربوية وبيئية، وأما ما يحصل لكثير من الناس من المصائب فهي ابتلاءات من الله تعالى، فإذا صبر المسلم عليها ازداد أجره إن شاء الله، قال تعالى: **[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ]**[155-157: البقرة].

والصواب أن يقال: هذا ولد كثير الحركة، مع الدعاء له بالهداية وأن يجنّبه الله كل مكروه، وفي حق المبتلى أن يقال: نسأل الله لنا وله العفو والعافية، وأن يكون ذلك خيراً له، ونحو ذلك من الألفاظ.

2- أنت للجنة وارد، وأنت للنار وارد:

أما اللفظ الأول فيقال في حق إنسان تقي، أطاع الله وابتعد عن المعاصي، وأحسن معاملة الناس، وبذل الخير والمعروف لهم، وأما اللفظ الثاني فيقال في حق إنسان ابتعد عن طاعة الله، واقترف المعاصي، وأساء معاملة الناس، وهضم الحقوق، وظلم واعتدى وبغى وأفسد في الأرض.

ولكن لا يصح أن يقال مثل ذلك، لأن الحكم على إنسان ما بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار هو من قبيل ادعاء علم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله، ثم إن الحكم على الناس بظواهر أعمالهم لا يصلح وحده للحكم عليهم بأنهم من أصحاب الجنة أو النار، لأن الأعمال بالنيات، كما في قوله ε: "إنما الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى"[35]، كما أن الأعمال بخواتيمها، فلا يعلم أحد: هل هذا المسلم يموت على الإيمان أم على الكفر؟ وهل هذا الكافر يموت على الكفر أم على الإيمان؟ فقد جاء في الحديث قوله ε: "إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها"[36]، وأخرج الإمام البخاري في صحيحه[37] عن سهل بن سعد τ: "إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم"، وذكر ابن رجب أن باطن الأمر عند الإنسان يكون بخلاف الظاهر، وإن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد، لا يطّلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار، وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره، فتوجب له حسن الخاتمة"[38].

وقول القائل: أنت للنار وارد، هو من باب التألي[39] على الله تعالى، وهو حرام، فعن أبي عمران الجوني عن جندب، أن رسول الله ε حدّث أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألّى عليّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان, وأحبطت عملك"[40].

والحق أنه لا يحكم بدخول أحد الجنة أو النار إلا من ورد النص بهم كما تقدم، لعدم علمنا أن هذا الإنسان يموت على الإيمان أو الكفر.

والصواب أن يقال: أسأل الله أن تكون من أهل الجنة إن كان القائل مسلماً، وإن كان كافراً فيقال له: أسأل الله أن يهديك للإسلام، وإن كان مؤمناً عاصياً فيدعى له بالمغفرة كنحو: أسأل الله أن يغفر لك، ونحو ذلك من الألفاظ.

3- عمرك أطول من عمري:

ويقال ذلك عندما تتفق نوايا اثنين على قول أو فعل، فيسبق أحدهما صاحبه في القول أو الفعل الذي عزما عليه.

ولكن هذا لا يصح: لأن ظاهر اللفظ يدل على أن القائل أو الفاعل قد علم أن عمر الذي سبقه بالقول أو الفعل أطول من عمره هو, وهذا من باب إدعاء الغيب، إذ الآجال لا يعلمها إلا الله تعالى لقوله Y: [**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**][34: لقمان]. ولا يجوز الحكم على آجال الناس بقول أو فعل أو أمارة معينة، فكم من مريض-توقع الناس موته بعد أيام أو ساعات – عاش سنين طويلة ؟! وكم من صحيح، فاجأه الموت، ولم يكن موته متوقعاً!

والصواب أن يقال: سبقتني إلى هذا القول أو الفعل.

المبحث الرابع

مخالفات تتعلق بالقدر

القدر لغة: القضاء والحكم، ومبلغ الشيء، وقَدَرَ الشيء, قَدْراً: بيَّن مقداره، وقَدَر الأمر: دبَّره وفكّر في تسويته، وقدَّر الشيء بالشيء: قاسه به وجعله على مقداره، وقَدَر الله الأمر على فلان: جعله له، وحكم به عليه، وقدَرَ الرزق عليه: ضيّقه، والقَدَرُ. مقدار الشيء وحالاته المقَّدرة له، والقضاء الذي يقضي به الله على عباده [41].

وأما في الاصطلاح: فيراد بالقدر "النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود، والقوانين العامة، والسنن التي ربط الله بها الأسباب بمسبباتها، أو هو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ بما ستكون عليه الخلائق، وأنها ستقع في أوقات معلومة، وعلى صفات مخصوصة[42].

ولقد كان موضوع القدر من أهم الموضوعات التي كانت محل جدل بين الفرق الإسلامية ، وثارت أسئلــة عديدة تتعلق بأفعال الإنسان: هل الإنسان مجبرٌ على ما يصدر منه أو مخيَّر؟ وانقسمت الآراء، فمن قائل بالجبر، وأن الإنسان كريشة في مهب الريح، وليس له دخل فيما يصدر عنه، ومن قائل بالاختيار، وأن الإنسان حر في اختيار ما يصدر عنه، وليس لله دخل في ذلك.

ولا يخفى أن آراء الفرق المختلفة قد أثّرت على كثيرين من المسلمين في أزمان مختلفة، فوجدنا من المسلمين من تبنّي وجهة نظر القائلين بالجبر، وتبنّى آخرون وجهة نظر القائلين بالاختيار، وظهر هذا التأثير في بعض الأقوال التي تصدر من بعض الناس، إما بالاعتراض على القدر أساساً، أو الاستهزاء به، أو نسبة الفاعلية فيما يحصل في هذه الحياة لغير الله تعالى.

ومن المعلوم أن الإيمان بالقدر هو ركن من أركان الإيمان، والواجب على المسلم الإيمان بالقدر خيره وشره من الله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يكون في ملك الله تعالى ما لا يريد، وأن الله قد كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة، وعلى المسلم أن يرضى بقدر الله تعالى، وأن يأخذ بالأسباب، ويقبل بالنتائج، فإن كانت خيراً حمد

الله تعالى، وإن كانت شراً قابل ذلك بالرضى والصبر، لا بالجزع والتسخط.

ولكن من يتأمل أحوال الناس، ويخالطهم في مجالسهم وأماكن عملهم، يرى مخالفة لما تقدم ذكره، من ألفاظ تتردد على ألسنتهم، ومن هذه الألفاظ:

1- لماذا يا رب؟ ماذا فعلت لكي تفعل بي كذا وكذا؟؟

ومثل هذا يصدر من بعض الناس عندما تلمّ بهم مصيبة، كمرض يصيبهم في أبدانهم، أو ذهاب مال، أو موت عزيز، ونحو ذلك من المصائب التي تصيب الناس، فيعتبرون أن ما أصابهم كان جديراً أن لا يصيبهم، لأنهم مطيعون لله، ولم يرتكبوا المعاصي، ولم يظلموا أحداً من الناس.

ولكن هذا خطأ: لأنه اعتراض على الله، وتسخّط من القدر، والواجب على المسلم التسليم والرضى بقدر الله، وأن ما أصاب الإنسان إنما هو بقدر من الله، قال تعالى: **[مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ]**[22، 23: الحديد]، وقال في وصف المؤمنين: **[الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ]**[156: البقرة].

والمصائب التي تنزل بالمؤمن إنما هي رحمة من الله، لأنه يثاب عليها إذا صبر، وهي مكفرات للخطايا، فعن أبي سعيد وأبي هريرة- رضي الله تعالى- عنهما، قال: قال رسول الله ε: "ما يصيب المسلم من نصب ولا صب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، - حتى الشوكة يشاكها - إلا كفّر الله بها من خطاياه[43].

وعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله ε: "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة، في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة"[44].

فمن عرف عظم الثواب على المصائب، لم يجزع، بل يصبر على ما أصابه، كما أن الخير قد يكون في هذه الابتلاءات التي تصيب الناس، فكم من غافل عن ذكر الله، ألجأته المصيبة إلى معرفة مولاه؟! وكم من ضال عن طريق الإسلام، سلكت به المصائب والابتلاءات إلى دروب الهدى والرشاد !

والصواب أن يقال عند المصائب: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أو الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه أو: الحمد لله على ما ابتلاني به، ونحو ذلك من العبارات.

2- لو أني فعلت كذا لم يحصل لي كذا، أو لكان كذا:

ويقال ذلك عندما يحصل لإنسان شيء ما، تمنى لو أنه لم يحصل، أو أن يكون قد حصل ما هو أفضل منه، وكلاهما مرتبط- في ظنه- بفعل أو قول، لو أنه أتى به، لكان ما سيحصل خلاف ما حصل.

وقد ذكر الله تعالى مقولة بعض الناس ، وظنهم أن فعلهم مؤثر في القدر فقال Y: **[يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا]**[154: آل عمران]، وقوله تعالى: **[الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا]**[168: آل عمران].

وهذه المقولة صدرت من بعض المنافقين أو ضعاف الإيمان، إذ قالوا: لو لم نخرج للقتال ما قتلنا، فردّ الله عليهم بقوله:**[قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ]**[154: آل عمران].

أي: "لو كنتم قاعدين في بيوتكم لم يكن بدّ من خروج من كتب عليه القتل إلى هذه المصارع التي صرعوا فيها، فإن قضاء الله لا يرد"[45]، فلا يستطيع الإنسان – الذي كتب الله عليه الموت- أن يدفع ذلك عنه: **[قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ]**[168: آل عمران]، "فلا ينفع الحذر من القدر، فإن المقتول يقتل بأجله" [46] وعلى المسلم – عند حصول أمر ما – كان لا يرغب حصوله على هذا النحو- أن يقول: قدّر الله، وما شاء فعل، وأن لا يندم، ولا يعجز ويقعد عن العمل، وأن لا يجعل للشيطان مدخلاً إلى نفسه، فيقول: لو فعلت كذا لكان كذا وكذا،

أو لم يحصل كذا، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت، كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإنّ لو تفتح عمل الشيطان"[47].

فلا يجوز للمسلم أن يقول: لو أني فعلت كذا، لم يحصل كذا، أو لحصل كذا، لأن في هذا القول:

- نسبة الفاعلية لغير الله تعالى، ومن المعلوم أن الأمور إنما تجري بقدر من الله.
- أن ما حصل لا يستطيع الإنسان ردّه، وما لم يحصل لا يستطيع تحصيله إلا بتوفيق الله والأخذ بالأسباب.
- أن كلمة (لو) تفتح باب الندم والحزن والتأسف على ما فات والتحسّر ولوم القدر، وذلك ينافي الصبر والرضى، والصبر واجب، والإيمان بالقدر فرض، والرسول ε يريد من المسلم أن لا يكون مهموماً محزوناً، بل يريد منه أن يكون منشرح الصدر، وأن يكون مسروراً طليق الوجه[48].

وأما ما ورد في بعض أحاديث الرسول ε من استعمال (لو)، كقوله: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت, ولولا أن معي الهدى لحللت" [49] فيمكن الجمع بينه وبين حديث "وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت، كان كذا وكذا..." على النحو التالي:

1 – أن النهي مخصوص بالجزم بالفعل الذي لم يقع، فالمعنى: لا تقل لشيء لم يقع، لو أني فعلت كذا لوقع, قاضياً بتحتم ذلك، غير مضمر في نفسك شرط مشيئة الله تعالى، وما ورد من قول (لو) محمول على ما إذا كان قائله موقناً بالشرط المذكور، وهو أنه لا يقع شيء إلا بمشيئة الله وإرادته، وهو كقول أبي بكر الصديق τ في الغار:" لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا" [50]. فجزم بذلك، مع تيقنه أن الله قادر على أن يصرف أبصارهم عنها بعمى أو غيره، ولكن جرى على حكم العادة الظاهرة، وهو موقن بأنهم لو رفعوا أقدامهم لم يبصروهما إلا بمشيئة الله تعالى"[51].

2– أنه يجوز استعمال (لو) و(لولا) فيما يكون للاستقبال مما فعله لوجود غيره وما هو حق صحيح متيقن، بخلاف الماضي والمنقضي، أو ما فيه اعتراض على الغيب والقدر السابق، والنهي إنما هو حيث قاله معتقداً ذلك حتماً، وأنه لو فعل ذلك لم يصبه ما أصابه قطعاً، فأما من ردّ ذلك إلى مشيئة الله تعالى، وأنه لولا أن الله أراد ذلك ما وقع، فليس من هذا[52].

3 – قال النووي قال القاضي عياض" أن النهي على ظاهره وعمومه، لكنه نهي تنزيه، ويدل عليه قوله ε: "فإن لو تفتح عمل الشيطان " أي: يلقى في القلب معارضة القدر فيوسوس به الشيطان"[53]. ولكن النووي تعقّب هذا بالقول: "قلت: وقد جاء من استعمال لو في الماضي قوله ε "لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى"، فالظاهر أن النهي، إنما هو عن إطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه فيكون نهي تنزيه لا تحريم، فأما من قاله تأسفاً على ما فات من طاعة الله تعالى أو ما متعذر عليه من ذلك ونحو هذا فلا بأس به[54].

4 – نقل ابن حجر عن القرطبي أن المراد من حديث "وإن أصابك شيء.." أن الذي يتعين بعد وقوع المقدور التسليم لأمر الله والرضى بما قدر، والاعراض عن الالتفات لما فات، فإنه إذا فكر فيما فاته من ذلك فقال: "لو أني فعلت كذا وكذا، جاء به وساوس الشيطان، فلا تزال به حتى يفضي إلى الخراب, فيعارض بتوهم التدبير سابق المقادير، وهذا هو عمل الشيطان المنهي عن تعاطي أسبابه بقوله: "فلا تقل لو، فإن لو تفتح عمل الشيطان" وليس المراد ترك النطق بلو مطلقاً، إذ قد نطق بها النبي ε في عدة أحاديث، ولكن محل النهي عن إطلاقها إنما هو فيما إذا أطلقت معارضة للقدر، مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدور، لا ما إذا أخبر بالمانع على جهة أن يتعلق به فائدة في المستقبل، فإن مثل هذا لا يختلف في جواز إطلاقه، وليس فيه فتح لعمل الشيطان، ولا ما يفضي إلى التحريم"[55].

5 – قال ابن حجر: "قال السبكي: وقد تأملت اقتران قوله "احرص على ما ينفعك " بقوله: وإياك واللو، فوجدت الإشارة إلى محل لو المذمومة وهي نوعان: أحدهما: في الحال، ما دام فعل الخير ممكناً، فلا يترك لأجل فقد شيء آخر، فلا تقل: لو أن كذا كان موجوداً لفعلت كذا، مع قدرته على فعله ولو لم يوجد ذاك، بل يفعل الخير ويحرص على عدم فواته.

6 – والثاني: من فاتته أمر من أمور الدنيا، فلا يشغل نفسه بالتلهف عليه، لما في ذلك من الاعتراض على المقادير وتعجيل تحسّر لا يغني شيئاً، ويشتغل به عن استدراك ما لعله يجدي. فالذم راجع فيما يؤول في الحال إلى التفريط، وفيما يؤول في الماضي إلى الاعتراض على القدر، وهو أقبح من الأول، فإن انضم إليه الكذب فهو أقبح"[56].

وبناء على ما تقدم يظهر أن لا تعارض بين نهي الرسول ε عن استعمال (لو) في قوله : "وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت، كان كذا وكذا.." وبين الأحاديث التي ورد فيها جواز استعمال (لو) كما في حديث "لو استقبلت من أمري ما استدبرت" وغيره من الأحاديث، لأن النهي عن استعمال (لو) إنما يكون في شيء مضى وانقضى، إذ لا فائدة من التحسر عليه، فقد مضى به القدر، وقول (لو) عندئذ يفتح عمل الشيطان بالوساوس التي تفضي إلى الخسران.

وكذا يمتنع قول (لو) إذا كان العبد قد أغفل مشيئة الله في حصول الأمر، واعتقد أن مشيئة العبد هي السبب في حصول ذلك، إذ من المعلوم أنه لا يقع شيء إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته، فالتعويل على مشيئة العبد عندئذ هو المانع من قول (لو) في حديث الرسول ε:" وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت، كان كذا وكذا.." والله تعالى أعلم.

3– شاءت الأقدار، تدخّل القدر، شاءت الظروف:

ومراد القائل: شاء الله تعالى أن يحصل كذا وكذا، ولكن مثل هذه العبارات خطأ، لأن الأقدار جمع قدر، والقدر يحتاج إلى مقدّر، والقدير هو "الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة, لا زائداً عليه، ولا ناقصاً عنه، ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله تعالى"[57].

ثم إن المشيئة إرادة، والقدرة معنى, والمعنى لا إرادة له، وإنما الإرادة للمريد, وهو الله تعالى [58]، ولم يرد القدر في القرآن مجرّداً عن ذكر اسم الله تعالى, ومما يدل على ذلك قوله Y: **[نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ]**[60: الواقعة], وقوله تعالى: **[وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا]**[2: الفرقان], وقوله: **[وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى]**[3: الأعلى], والضمير في هذه الآيات عائد على الله تعالى, فالله هو المقدر في كل الأحوال، إذ الأقدار ليست فاعلة بنفسها, وإنما الفاعل هو الله تعالى.

كمـــا إن قول القائل: (تدخل القدر) لا يصح، لأنه يعني "أن القدر اعتدى بالتدخل، وأنه كالمتطفل على الأمر، مع أن القدر هو الأصل، فكيف يقال: تدخل؟!"[59]، فالله Y قد قدّر الأشياء منذ الأزل، وما يجري إنما هو وفق المقدّر.

وأما قول: (شاءت الظروف)، فالظروف إنما يراد بها هنا: الأزمان والأحوال, وهذه لا مشيئة لها, وإنما المشيئة هي لله تعالى.

والصواب أن يقال: شاء الله تعالى، قدّر الله تعالى, ونحو ذلك من الألفاظ.

4– من سخرية القدر:

ويقال عندما يحصل لإنسان– لا يساوي في نظر الناس شيئاً– مال أو مكانة مرموقة أو منفعة دنيوية ما, يظن الناس أن هذا الإنسان ليس جديراً بذلك.

وحكم هذا القول فيه تفصيل:

أ – فإن كان مراد القائل الله تعالى, فهذا كفر، لأن السخرية هي الاستهزاء يقال: "سخرت منه واستسخرته، للهزء منه"[60]، والله Y لا يحصل منه ذلك، وإنما ورد هذا اللفظ في حق الله تعالى في مقابلة من يعاملون الله بمثل ذلك، قال سبحانه: **[الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ**

لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[79: التوبة]، وكان هذا الطعن من المنافقين في الصدقات التي قدّمها المؤمنون عندما نزلت آية الصدقة، فسخر المنافقون من صدقات المكثرين، متهمين إياهم بالرياء، وسخروا أيضاً من المقلّين، استصغاراً واحتقاراً لما قدموا [61]، فقوله تعالى: (سخر الله منهم) "من باب مقابلة المنافقين على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين، لأن الجزاء من جنس العمل، فعاملهم الله تعالى معاملة من سخر منهم، انتصاراً للمؤمنين في الدنيا، وأعدّ للمنافقين في الآخرة عذاباً أليماً، لأن الجزاء من جنس العمل " [62]، وهذا نظير قوله تعالى: **[وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ]**[30: الأنفال]، وقوله: **[إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ * اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ]**[14-15: البقرة]، فالله لا يوصف بالسخرية والمكر والاستهزاء، وإنما يجوز إطلاقها على الله في الحال التي تكون فيه كمالاً، وتمتنع في الحال الذي تكون فيه نقصاً، وهي في المواضع التي تقدمت كمال في حقه سبحانه، لأنها دلّت على أن الله Y قادر على معاملة من يعاملونه سبحانه بمثل فعلهم وأشد، وتكون نقصاً عندما لا تكون في مقابلة من يعاملون الله بمثل ذلك[63].

ب -وإن كان مراد القائل نسبة السخرية للقدر، فلا يصح هذا، وذلك للعلة التي تقدمت في المخالفة السابقة.

والصواب أن يقال: سبحان من أعطاك ملكاً ! أو: فلله الحكمة على ما أعطاك، ونحو ذلك، وأن لا تكون مثل هذه العبارات على سبيل الاستهزاء والاحتقار للآخرين.

5 -يلعن ها الكِتْبِة، أو: يلعن كتبتي:

وهي عبارات تدل على التسخّط والضجر من أمور تحلّ بالإنسان، كأن يصاب بمصيبة، أو يبتلى بعمل شاق ومسؤوليات جسيمة، أو أي أمر يجده شاقاً عليه، يجلب له التعب.

ولكن هذا لا يصح: ذلك أن (الكتبة) يراد بها المكتوب، وهو ما كتبه الله على الإنسان من خير أو شر، وهو القدر، قال تعالى: **[وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَابًا مُّؤَجَّلاً]**[145: آل عمران]، وقال: **[قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا]**[51: التوبة]، أي: ما كتبه الله في اللوح المحفوظ[64]، وقوله تعالى: **[كِتَابًا مُّؤَجَّلاً]** أي: "لا يموت أحد إلا بقدر الله، وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له"[65].

فقول القائل: (يلعن ها الكتبة) ، ظاهره أنه يلعن القدر، ولعن القدر كفر، والعياذ بالله، والواجب على المسلم الإيمان بالقدر خيره وشره من الله، والرضى والتسليم بقدر الله تعالى، قال Y: **[الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ]**[156: البقرة]. فإذا كان المطلوب من المسلم الرضى والتسليم بقدر الله، فكيف بمن يلعن القدر؟!

والصواب أن يقول المسلم: الحمد لله على كل حال, ومقابلة المقدر بالرضى والصبر، والتسليم لأمر الله تعالى.

المبحث الخامس

المخالفات العقدية العامة

وهناك من الأخطاء العقدية العامة, والتي لا تدخل تحت ما تقدم من الأخطاء، لعدم ارتباطها بواحد منها ارتباطاً مباشراً, وإن كان لها تعلق بها بوجه من الوجوه، آثرنا أن نجعلها قسماً مستقلاً, ومن ذلك:

1 -يا كافر:

وهو لفظ يصدر من بعض الناس، يطلق فيه الكفر على أخيه المسلم عند الغضب, بسبب قول أو فعل صدر من الذي وجّه إليه لفظ الكفر.

ولكن هذا خطأ: فعن أبي هريرة τ أن رسول الله ε قال: "إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما, فإن كان كما قال، وإلا رجعت عليه"[66]، قال ابن حجر (ت 852هـ): "قوله (فهو كما قال) يعني: فهو

كاذب لا كافر, إلا أنه لمّا تعمّد الكذب الذي حلف عليه، والتزم الملّة التي حلف بها، قال υ (فهو كما قال) من التزام تلك الملة، إن صحّ قصده بكذبه إلى التزامها في تلك الحالة، لا في وقت ثان، إذ كان ذلك على سبيل الخديعة للمحلوف له. قلت: وحاصله أنه لا يصير بذلك كافراً، وإنما يكون كالكافر في حال حلفه بذلك خاصة"[67].

ومثل هذا اللفظ – أي يا كافر– قد يكون قائله صادقاً فيمن رماه به، وقد يكون كاذباً، فإن كان صادقاً – بناءً على ما صدر من الموجّه له الكلام, كأن يتلفظ بلفظ هو كفر, أو يعمل عملاً هو كذلك – فإطلاق لفظ الكفر عندئذ صحيح, لأنه لم يطلق عليه وصف الكفر إلا بعد صدور ما يستدعي التكفير في حق القائل أو الفاعل. وإن كان القائل كاذباً في رمي أخيه المسلم بالكفر عاد الكفر إليه بتكفيره أخاه المسلم.

والصواب أن يقال لمن صدرت عنهم مــثل هذه الأقوال أو الأفعال الشنيعة: هداك الله، أصلحك الله، ونحو ذلك.

2- إن فعلت أو قلت كذا وكذا فأنا يهودي أو نصراني, أو كافر: أكون خارجاً من دين الإسلام إن حصل مني كذا:

وقصد القائل: أن ينفي عن نفسه فعل أمر من الأمور، أو قولاً من الأقوال، وتكون مثل هذه الألفاظ في الغالب في الأفعال والأقوال العظيمة التي ربما تحدث فتنة وأثراً كبيراً.

ولكن التلفظ بمثل هذه الأقوال لا يصح في الشرع: لما ورد عن أبي هريرة τ قال، قال رسول الله ε: "من حلف على يمين فهو كما حلف، إن قال: هو يهودي، فهو يهودي، وإن قال: هو نصراني، فهو نصراني، وإن قال: هو بريء من الإسلام، فهو بريء من الإسلام"[68]، لأن القائل: "إن أراد حقيقة تعليق خروجه عن الإسلام بذلك, صار كافراً في الحال, وجرت عليه أحكام المرتدين, وإن لم يرد ذلك لم يكفر، لكن ارتكب محرماً, فيجب عليه التوبة، والإقلاع عن معصيته, والندم على ما فعل, والعزم على عدم العودة إلى مثل هذه الألفاظ"[69].

وانطباق الحكم بالكفر بأن القائل يهودي أو نصراني، أو أنه خارج من دين الإسلام، إنما يرتبط بصدق صدور القول أو الفعل عنه, فإن كان القول أو الفعل قد حصل منه، وأنكر ذلك، فهو كافر, لأنه علّق الحكم بالكفر بصدور القول أو الفعل، وقد حصل فعلاً، ولكنه أنكر ذلك, وتلفظ بلفظ ليدفع به تهمة الفعل أو القول عنه، وإن كان صادقاً في عدم صدور القول أو الفعل عنه، فالتلفظ بمثل هذه الألفاظ مستقبح في الشرع.

والصواب أن يقال: لم أفعل كذا، ولم أقل كذا، فالأصل أن المسلم مصدّق فيما يقول، وإن اضطر إلى التأكيد فليحلف بالله تعالى، فيقول: والله العظيم لم أقل كذا، أو لم أفعل كذا، لما ورد عن الرسول ε قوله: "من حُلف له بالله فليرض , ومن لم يرض بالله فليــس من الله"[70].

3 –لعن الزمان أو الدهر أو اليوم أو الساعة:

كأن يقول بعضهم: يلعن اليوم الذي رأيتك فيه، أو الزمن الذي صرت فيه مسؤولاً، ونحو ذلك من العبارات.

ويكون هذا عندما تنزل بأحد الناس نازلة، وتضيق به السبل، أو يرى إنساناً قد نال مرتبة دنيوية عالية, كوزير أو مسؤول، أو أعطاه الله من المال ما لم يعطه هذا اللاعن.

وهذا خطأ: لأن لعن الدهر أو الزمن منهي عنه في الإسلام, فعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ε: قال الله Y: "يسب ابن آدم الدهر، وأنا الدهر، أقلّب الليل والنهار"[71] وفي رواية: "يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر"[72]، وفي رواية أخرى: "لا تسبّوا الدهر، فإن الله هو الدهر"[73].

قال الحافظ المنذري (ت 656هـ) في بيان الحكمة من سب الدهر: " أن العرب كانت إذا نزلت بأحدهم

نازلة، وأصابته مصيبة أو مكروه يسب الدهر، اعتقاداً منهم أن الذي أصابه فعل الدهر، كما كانت العرب تستمطر بالأنواء[74]، وتقول: مطرنا بنوء كذا، اعتقاداً أن فعل ذلك فعل الأنواء، فكان هذا اللعن للفاعل، ولا فاعل لكل شيء إلا الله تعالى، خالق كل شيء وفعله، فنهاهم النبي ε عن ذلك "[75]، كما أن الدهر – الذي هو الزمان –لا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى"[76].

4 -يلعن حَرَمَك، أو يلعن ولاياك: أو لعنة الله عليك:

ويوجّه الكلام لأحد من الناس، وهذه صورة من صور اللعن التي يتلفظ بها بعض الناس، ويقصد بذلك لعن محارم الرجل من النساء، كأمّه أو أخته أو بنته، ونحو ذلك.

وحرم الرجل: ما يقاتل عنه ويحميه، ويطلق على المرأة، ومحارم الرجل: قراباته من النساء، اللواتي يحرم عليه التزوج بهن [77]، وأما (الولايا) فتطلق على القرابة، وولي المرأة: من يلي عقد النكاح عليها، ولا يدعها تستبد بعقد النكاح من دونه[78]، وعلى هذا فإن (الولايا) تطلق على قرابات الرجل من النساء, ممن يلي أمرهن, فيتولاهنّ بالرعاية والنصرة والمحبة, وغير ذلك مما هو من حقهن عليه.

وهذا اللعن حرام, لأنه طرد وإبعاد عن رحمة الله تعالى" على سبيل السخط, وفي الآخرة عقوبة,وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه, ومن الإنسان دعاء على غيره"[79]،وقد ورد النهي عن اللعن، ومن ذلك قوله ε: "لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله، ولا بالنار"[80]، وقوله ε: "لعن المؤمن كقتله"[81], وقوله: "لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة"[82].

ولا يملك أحد من الناس أن يطرد أحداً من رحمة الله تعالى, فهذا حق الله Y، ولا يجوز للمسلم لعن المعيّن من الناس, كأن يوجّه اللعن لأحد من الناس, وإن جاز في الجملة لمن ورد النص بلعنهم, قال تعالى: **[أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ]**[18: هود].

والصواب من القول– عند حدوث دواعي الغضب – أن يستعيذ المسلم بالله من الشيطان الرجيم، وأن يقول لمن أغضبه: هداك الله، أصلحك الله، ونحو ذلك من الألفاظ.

5- قبّح الله وجهك:

ويقال ذلك في حال كراهية إنسان لآخر، أو حصول دواعي الغضب.

وهذا خطأ: لأن هذا دعاء على المسلم بالشر، بأن يقلب الله صورته إلى صورة قبيحة, وقد خلقه في أحسن صورة, قال تعالى: **[لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ]** [4: التين], وقوله: **[الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ]**[7-8: الانفطار].

وقد ورد النهي في حديث الرسول ε أن يقول المسلم مثل هذا القول, فعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ε: "إذا ضرب أحدكم فليتجنب الوجه, ولا تقل قبحّ الله وجهك, ووجه من أشبه وجهــك , فإن الله خلق آدم على صورته"[83].

والدعاء على المسلم بالشر حرام, لقوله ε: "لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة، يُسأل فيها عطاء, فيستجيب لكم"[84].

والصواب أن يقال: هداك الله, أصلحك الله، غفر الله لك, ونحو ذلك.

6- فلان ابن حرام:

ومراد القائل: أن الشخص الذي وجه إليه الكلام، لا يتورع عن ارتكاب ما حّرم الله تعالى من المنكرات والفواحش.

ولكن هذا اللفظ لا يجوز في الشرع لأن:

- ظاهر اللفظ يفهم منه أن الموجه له الكلام هو ابن زنى, وهذا يقتضي أن يأتي القائل بأربعة شهود عدول, يشهدون على صحة قوله, ليقام الحد على المقذوف، فإن عجز عن ذلك فهو قاذف، يستحق عقوبة القذف,

قال تعالى: **[وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ]**[4: النور].

وعن أبي هريرة τ قال: سمعت رسول الله ε يقول: "من قذف مملوكه – وهو بريء مما قال – جُلد يوم القيامة, إلا أن يكون كما قال"[85]، فكيف إذا كان المقذوف حراً!؟

• هذا القول فيه ادعاء معرفة الغيب, وهذا لا يكون إلا لله تعالى, ودعوى معرفة الغيب هنا تكون في حال أن المرأة المقذوفة متزوجة, فمن أين للقاذف أن يحكم أن الولد الذي حصل منها، تولّد من زوجها أو ممن ادعى أنه زنى بها؟ فهذا لا يطّلع عليه إلا علاّم الغيوب. وأما إن كانت المرأة بكراً– لم تتزوج بعد– فالقرينة ظاهرة أن الولد من ماء حرام.

ولكن المحـذور في هذه الحالة أن الشخص الذي تولّد من ماء حرام لا إثم عليه، وإنما الإثم واقع على أمّه، ثم إن القول بأن ابن الزنى تتأتى منه أفعال قبيحة ومنكرات شنيعة, هو قول لا دليل عليه في الشرع، فلا وجه للربط بين ارتكاب الفواحش وبين ابن الزنى, والله أعلم.

والصواب عند معرفتنا بأن أحداً من الناس يرتكب الفواحش والمنكرات أن نأمره بالمعروف وننهاه عن المنكر, وأن ندعو الله أن يصلحه بقولنا:هداك الله، أصلحك الله، والدعاء له بالمغفرة: غفر الله لنا ولك.

7- انكسر الشر, أو: انكبّ الشر:

ويقال ذلك عندما تكسر آنية زجاجية مثل الكأس والصحن ونحوها، أو عندما يهراق شراب أو طعام من إناء.

ولكن ذلك خطأ من وجهين:

1 – الحكم على كسر الإناء أو إراقة الشراب أو الطعام بأنه شر، هو من الرجم بالغيب، لأن علم الغيب هو من اختصاص الله وحده، قال تعالى: **[قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ]**[65: النمل]، فمن أين للقائل أن الشر قد ذهب بكسر الإناء أو بإهراق الشراب أو الطعام؟! وما وجه الارتباط بين كسر الإناء وإهراق الشراب من جهة وبين ذهاب الشر؟! فالشر المتوقع حدوثه في المستقبل لا يرتبط في الشرع بأي منهما.

2 –أن هذا قريب من الطِّيرة والاستقسام بالأزلام، والتعويل على الأنواء في حصول الشيء، وغير ذلك مما كان يفعله العرب في جاهليتهم، قال تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]**[90: المائدة]، وقال تعالى في ذكر المحرمات: **[وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ]**[3: المائدة].

ويقول ε في الطيرة والأنواء: "لا عدوى، ولا طيرة، ولا صفر، ولا هامة"[86]، وقوله: "لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر"[87].

ووجه ارتباط هذا اللفظ (انكسر الشـر، أو انكب الشر) بما تقدّم: أن العرب في الجاهلية، كانوا يعوّلون على غير الله في أسفارهم وقضاء حوائجهم، من الطير والنجوم والسهام التي كانوا يستقسمون بها، وغير ذلك مما كانوا يفعلونه، فنهوا عن ذلك، يقول ابن حجر العسقلاني (ت852هـ): "وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير, فإذا خرج أحدهم لأمر: فإن رأى الطير يمنة, تيمّن به واستمر، وإن رآه طار يسرة,تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيّج الطير ليطير، فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك"[88].

والأنواء هي الكواكب الثمانية والعشرون, وهي منازل القمر, والتي كانت العرب تنسب المطر إليها, وكانوا يقولون: مطرنا بنوء كذا, فأبطل الشرع أن يكون بنوء النجوم شيء إلا بإذن الله[89]، قال النووي (ت 676هـ) ويكره أن يقول: مطرنـا بنوء كذا، فإن قاله – معتقداً أن الكوكب هو الفاعل – فهو كفر، وإن قاله – معتقداً أن الله تعالى هو الفاعل, وأن النوء

المذكور علامة لنزول المطر – لم يكفر، ولكنه ارتكب مكروهاً, لتلفظه بهذا اللفظ, الذي كانت الجاهلية تستعمله, مع أنه مشترك بين إرادة الكفر وغيره"[90].

وأما القِســم بالأزلام فهي" قداح ثلاثة، على أحدها مكتوب: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل، والثالث:غفل، ليس عليه شيء. ومن الناس من قال: مكتوب على الواحد: أمرني ربي، وعلى الآخر: نهاني, والثالث: غفل، ليس عليه شيء، فإذا أجالها، فطلع سهم الأمر، فعله، أو النهي، تركه، وإن طلع الفارغ، أعاد"[91].

ومما تقدم يظهر أن العرب – في الجاهلية–كانوا يعتمدون على غير الله تعالى في تصريف أمورهم, فأمروا بالتوكل على الله Y في كل شيء, ونهوا عن التشاؤم والتطير, وغير ذلك، مما يظن أن له الأمر والنهي في تصريف الأمور, أو جلب النفع أو دفع الضر, إذ الفاعل والمالك لكل شيء هو الله وحده, ولا شيء سواه.

والصواب أن يقال عندما تكسر الأواني, أو يهراق الشراب أو الطعام منها: نسأل الله أن يرزقنا خيراً منه، أو: العِوَض[92]على الله, أو: خيراً إن شاء الله, ونحو ذلك من الألفاظ.

8 –البوم صاح وحل النّواح، والغراب لا يأتي إلا بالخراب، و خير يا طير:

وهذه من الأمثلة التي تتردد على ألسنة الناس,"وقد كانت العرب في الجاهلية تتشاءم بالهامة[93]، وهي الطائر المعروف من طير الليل، وقيل هي البومة, قالوا: كانت إذا سقطت على دار أحدهم رآها ناعية له نفسه أو بعض أهله" [94] ويعتبرون أن عظام الموتى تصير هامة, فتطير, ويقولون لا يدفن ميت إلا ويخرج من قبره هامة, وكانوا يسمون ذلك:الصّدى, ومن ذلك تطيّر العامة بصوت الهامة, فأبطل الشرع ذلك"[95].

وأما الغراب فهو الطائر المعروف, ويضرب به المثل في السواد، وكان العرب في الجاهلية يتشاءمون منه إذا نعق قبل الرحيل[96].

وبعض الناس في زماننا يتشاءمون من البوم إذا حطّ على دورهم أو بساحتهم، وداخلهم الحزن من ذلك، لأنهم يعتقدون أن البوم إذا صوّت في ساحات دورهم فإن هذا دلالة على أن حزناً سيخيم عل أهل البيت، بموت أحدهم، وسيحل النواح (وهو البكاء) على من سيموت منهم، وكذا الغراب إذا نعب [97]بدار أحدهم، توقّعوا موت إنسان أو شراً سيحصل لهم، وبعض الناس يقول: (الغراب لا يأتي إلا بالخراب) إذا حضر إنسان إلى مكان ما، فشبّه القادم بالغراب في الشر إذا نزل بدار قوم.

وأما قول خير يا طير فقد يراد به التفاؤل، كما يدل عليه ظاهر اللفظ، وقد يراد به التشاؤم، ولكنه عبّر عنه بلفظ التفاؤل، وقد يكون غير مراد هنا، فكأنه أراد من اللفظ: وأي خير ستأتينا به يا طير؟! وذلك على سبيل الإنكار.

ولكن هذا خطأ: لأن الإسلام نهى عن التشاؤم، وهو التطيّر، فعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ε: "لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر"[98]، قال البغوي (ت 516هـ): " الطيرة معناها التشاؤم، يقال تطيّر الرجل طيرة...، قال الله تعالى: **[قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ]** [18: يس]، أي تشاءمنا، وقوله: **[قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ]**[19: يس]، أي شؤمكم...، وأخذت الطيرة من اسم الطير، وذلك أن العرب كانت تتطير ببُروح الطير وسُنوحها[99] ، فيصدّهم ذلك عمّا يمّموه من مقاصدهم، فأبطل النبي ε أن يكون لشيء منها تأثير في اجتلاب نفع أو ضر"[100].

وعلى هذا فإن البوم والغراب – ونحو ذلك مما يتشاءم منه بعض الناس أو يتفاءلون به – ليس لهم تأثير في جلب النفع أو دفع الضر، وليس لهذه المخلوقات نوع شركة مع الله تعالى في أي أمر من

الأمور، ومن أين لهذا القائل أن البوم إذا نعب بدار إنسان دلَّ ذلك على موت أحد من أهل الدار؟! ومن أين له – كذلك– أن الغراب إذا حلّ بمكان حمل معه الخراب؟! ومن أين يأتي الخير من قبل طائر حل بدار أحدنا كما يتوهم بعض الناس؟! إن هذا تقوّل لم يقم عليه دليل من الشرع، بل إن الشرع قد أبطل ذلك وذمّ مثل هذه العادات المتوارثة عن الجاهلية الأولى.

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: " كان إذا نعب الغراب قال: " اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله إلا أنت"[101].

و "عن ابن طاووس: أن رجلاً كان يسير مع طاووس،فسمع غراباً نعب، فقال: خير، فقال طاووس: أي خير عند هذا أو شر؟!، لا تصحبني، أو: لا تسر معي"[102].

والصواب: ترك مثل هذه الأقوال، وإحلال التفاؤل محلها، فعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ε: " لا عدوى ولا طيرة، وأحب الفأل الصالح" [103]، قال النووي (ت 676هـ): "وأما الفأل فمهموز ويجوز تركه، وجمعه: فؤول، وقد فسّره النبي ε بالكلمة الصالحة والحسنة والطيبة، قال العلماء: يكون الفأل فيما يسر وفيما يسوء، والغالب في السرور، والطيرة لا يكون إلا فيما يسوء، وإنما أحب الفأل، لأن الإنسان إذا أمّل فائدة الله تعالى وفضله عند سبب قوي أو ضعيف فهو على خير في الحال، وإن غلط في جهة الرجاء، فالرجاء له خير، وأما إذا قطع رجاءه وأمله من الله تعالى، فإن ذلك شر له، والطيرة فيها سوء الظن وتوقع البلاء"[104].

ومن أمثلة التفاؤل عندما يسمع صوت البوم أو نعيب الغراب أن يقول كما جاء في حديث ابن عباس: "اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله إلا أنت": ليدفع بهذا القول ما شاع في أذهان بعض الناس من الشر المنتظر من صوت البوم أو نعيب الغراب، مع تيقّنه أن الضر والنفع بيد الله تعالى، وليس لأحد سواه.

9 -فلان المتوفِّي (بكسر الفاء وتشديدها، مع ياء بعدها):

ويقصد بذلك موت إنسان ما.

ولكن هذا خطأ: لأن ظاهر اللفظ يدل على أن الذي مات هو الله – تعالى سبحانه عن ذلك علواً كبيراً– وإن لم يقصد القائل ذلك، فالله Y لا يعتريه الموت، فهو الأول، الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، وهو الذي يتوفَّى الأنفس جميعاً، قال تعالى: **[اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ]**[42: الزمر]، **وقال: [وَاللّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ]**[70: النحل].

والصواب أن يقال: فلان المتوفَّى (بفتح الفاء مع التشديد وبعدها ألف مقصورة)، لأننا في هذه الحالة عبّرنا عن موت الإنسان ونسبنا الفاعلية لله تعالى، فيقال: توفّاه الله، أو يقال: فلان الميّت.

10 – انتقل إلى مثواه الأخير:

ويقال هذا عند موت إنسان ما، وظاهر اللفظ يفيد أن فلاناً من الناس قد مات، واستقرّ في القبر.

وهذا خطأ: لأنه يوهم أن مستقر الإنسان الأخير هو القبر، وأنه لن يبعث بعد الموت، وإن لم يقصد القائل هذا المعنى، ومن المعلوم أن مستقر الإنسان بعد الموت والبعث والحساب: إما الجنة وإما النار، ولم يرد في القرآن الكريم ما يفيد بأن مثوى الإنسان هو القبر، بل ورد أن مثواه هو الجنة أو النار، قال تعالى: **[وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ]**[19: محمد]، وقال في حقّ الكافرين: **[النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا]**[128: الأنعام]، أي مقامهم في النار[105].

والصواب أن يقال: توفّاه الله، أو فلان المتوفّى (بفتح الفاء وتشديدها).

11 – البقية في حياتك، و: أعطاك عمره:

الأول من الألفاظ التي تقال عند التعزية بموت إنسان، فيدعو المعزّي أن يطيل الله عمر أولياء الميت بمثل هذا اللفظ.

ويحتمل: أن المعزّي قصد ولي الميت الذي يعزيه بأن أبقاه، وجعل فيما تبقى من عمره خيراً له وللناس.

فإن كان المقصود بقوله: (البقية في حياتك) هذا المعنى فلا بأس بذلك، وإن كان المراد أن الميت قد بقي من عمره بقيّة، فدعا المعزّي أن يهب الله ما تبقى من عمر الميت لأوليائه، فلا يجوز، مع أن القائل لا يقصد ذلك، ولكن ظاهر اللفظ يحتمل مثل هذا، فمن المعلوم أنه لم يبق من أجل الميت بقية، فقد انتهى أجله، واستوفى أيامه في هذه الدنيا، قال تعالى: **[فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ]**[34: الأعراف]، وقال: **[وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَابًا مُّؤَجَّلاً]**[145: آل عمران].

وأما اللفظ الثاني: (أعطاك عمره) فيراد به الإخبار عن موت فلان من الناس، عندما يسأل القائل عن حال إنسان ما.

ثم إن قول القائل: (البقية في حياتك) ليس من الألفاظ التي وردت السنة بقولها في العزاء.

والصواب: أن يأتي المسلم بما ورد من أقوال الرسول ε، ومن ذلك: "إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكلٌ عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب"[106].

قال النووي (ت 676هـ): "واستحب أصحابنا أن يقول في تعزية المسلم بالمسلم: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك، وفي المسلم بالكافر: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وفي الكافر بالمسلم: أحسن الله عزاءك، وغفر لميتك، وفي الكافر بالكافر: أخلف الله عليك"، ونحو ذلك مما أثر من الأقوال عن الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام[107].

وفي حال السؤال عن إنسان توفّاه الله يقال: رحمه الله، أو توفّاه الله، ونحو ذلك.

12 – عايشين من قلة الموت:

وقصد القائل: أنه فقير الحال، لا يجد شيئاً ينفقه, وكان الجدير أن يسبق الموت إليه, لأنه لا يجد من أسباب الحياة شيئاً.

وهذا خطأ من وجهين:

- أنه تسخّط واعتراض على قدر الله تعالى وحكمته في توزيع الأرزاق على العباد، فلله الحكمة البالغة في ذلك, والواجب على المسلم أن يرضى بما قدر الله له, ويحمده سبحانه في السراء والضراء.
- أنه نسب الفاعلية لغير الله تعالى, كما يبدو من ظاهر اللفظ, وإن لم يقصد ذلك، إذ نسبها للموت, والموت لا يفعل شيئاً, إنما الفاعل هو الله تعالى, قال Y: **[حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ]**[61: الأنعام].

والصواب أن يقال: الحمد لله على كل حال، اللهم فرّج عنّا ما نحن فيه، اللهم إنا نسألك رزقاً حلالاً طيّبا، ونحو ذلك.

13 – يقولوا: جبان، ولا: الله يرحمه:

وهذه دعوة إلى الفـــرار من المـــوت، واعتبـــار الهروب من ميادين الجهاد من الرجولة, وأن يقول الناس عن هذا الهارب جبان أفضل بكثير من قولهم بعد موته: الله يرحمه.

وهذا من القول الباطل الذي يردّده بعض الناس, وترسيخ لحب الدنيا, والفرار من الجهاد, وتفضيل ذلك على الشهادة في سبيل الله وطلب الرحمة للمؤمن بعد موته.

وأي وجه للمقارنة بين الجبن والموت في سبيل الله؟! ألم يعتبر الرسول ε التولّي يوم الزحف من السبع الموبقات، التي تهلك صاحبها وتودي به إلى جهنم والعياذ بالله؟! فقد جاء في الحديث قوله ε: "اجتنبوا السبع الموبقات" وعدّ منها "والتولي يوم الزحف" [108]،

ثم إن الجبن خلق ذميم، وقد كان عليه الصلاة والسلام –يستعيذ بالله منه, فعن أنس بن مالك τ قال: كان نبي الله ε يقول:" اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل, والجبن والهرم, وأعوذ بك من عذاب القبر, وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات"(109).

والصواب: ترك مثل هذه الأقوال، لأنها دعوة إلى التثبيط عن الجهاد في سبيل الله, واستبدالها بما ورد من آيات وأحاديث تحث على الجهاد, وفي المقابل ذكر الأحاديث التي تحذر من الجبن والفرار من الزحف.

14 – الزمن غدّار, و: هذا زمان أقشر:

ومراد القائل: أن الدنيا تخدع أهلها، وأن الناس تتبدّل أحوالهم من حال إلى حال، وأن الإنسان بعد السعة في الرزق والصحة في البدن، وإذا حاله تتغير إلى ضيق في الرزق , وسقم في البدن, وغير ذلك مما يعتري الإنسان من تبدل الأحوال.

وهذه الأقوال خطأ من وجوه:

- أن المتصرف في الكون بالإحياء والإماتة، والصحة والمرض، والسعة في العيش، والتضييق فيه، ونحو ذلك، إنما هو الله تعالى ولا يجوز أن ينسب إلى الزمن تأثير أو تصرف في أحوال الناس، قال تعالى في حق نبيه عليه الصلاة والسلام: **[قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ]**[188: الأعراف].
- إن كان قصد القائل السب والقدح في الزمن، فهذا حرام، لأن ما حصل في الزمن فهو من الله Y, فمن سبّه فقد سبّ الله سبحانه(110) فعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ε: قال الله Y:" يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر, وأنا الدهر, بيدي الأمر, أقلّب الليل والنهار "(111).

وذكر ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) أنه يترتب على سب الدهر ثلاث مفاسد عظيمة:

إحداها: سبُّه من ليس بأهل أن يسب, فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله، منقاد لأمره، مذلل لتسخيره, فسابّه أولى بالذم والسب منه.

الثانية: أن سبّه متضمن للشرك، فإنه إنما سبّه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضرّ من لا يستحق الضرر, وأعطى من لا يستحق العطاء، وحرم من لا يستحق الحرمان.

الثالثة: أن السبّ منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال، التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، وإذا وقعت أهواؤهم، حمدوا الدهر، وأثنوا عليه، وفي حقيقة الأمر، فربّ الدهر تعالى هو المعطي المانع، الخافض الرافع، المعزّ المذلّ، والدهر ليس له من الأمر شيء، فمسبتهم للدهر مسبة لله Y، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى....، فسابّ الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدها: إما سبّه لله أو الشرك به، فإنه إذا اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك، وهو يسبّ من فعله، فقد سبّ الله(112).

ومن هنا فقد تبيّن أن قول القائل: الزمن غدّار، وهذا زمن أقشر، هو في الظاهر سبّ وقدح في الزمان، وينبغي للمسلم أن يقلع عن ذلك.

والصواب أن يقول: الحمد لله على كل حال، أو: حسبي الله ونعم الوكيل، أو: فلله الحكمة البالغة ، ونحو ذلك من الألفاظ.

15– ماسك الدين من ذيله، أو: أنت متمسّك بقشور الدين:

ويقال لمن التزم ببعض الآداب التي حثّ عليها الإسلام، وهو في المقابل مقصّر في الفرائض التي افترض الله على عباده.

أما قوله: (أنت متمسّك بقشور الدين) فيقال في حق مسلم أعفى لحيته، أو حافظ على السواك، أو قصّر ثوبه، فيأتي بعض الناس فيقول له هذا الكلام.

ولكن هذه العبارات خطأ: لأنه ليس في الإسلام جسم وذيل، أو لب وقشور، فكل ما أمر الله به في كتابه أو على لسان رسوله ε، فرضاً أو ندباً، إنما هو دين، وهو خير كله، والمسلم مأجور على الالتزام به.

صحيح أن الإسلام فيه أصول وفروع، والأصول هي الأساس، ولكن لا يجوز التقليل من أهمية الفروع، ووصفها بالذيل أو القشور، ففي هذه العبارات استخفاف بالدين، وتقليل من أهمية الفروع، ودعوة إلى الإعراض عن الالتزام بها، وتحقيراً لأصحابها المتمسكين بها.

والواجب على المسلم أن يلتزم بما افترض الله عليه، وأن يزداد من فعل ما ندب إليه، فكلما ازداد عمله، ازداد إيمانه، فالإيمان يزداد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

وإذا كانت مثل هذه الأقوال تصدر من بعض الناس استهزاءً بدين الله أو انتقاصاً له أو لبعض ما جاء به، فهذا كفر والعياذ بالله، قال تعالى: **[قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ *لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ]**[65- 66: التوبة].

16- كل من على دينه، الله يعينه:

ويقال ذلك في حق عدد من الناس، ابتلي كل واحد منهم بمصيبة ما، والمعنى: الله يعين كل واحد على ما ابتلاه الله به.

ولكن ظاهر اللفظ لا يفيد هذا المعنى ، وإنما يفهم منه الدعاء إلى الله تعالى أن يعين كل صاحب دين، ولو كان هذا الدين باطلاً.

وهذا أمر لا يجوز، إذ إن الله تعالى لا يعين أصحاب الباطل على باطلهم، وإنما تثبت الإعانة في حق من كانوا على دين الإسلام، بأن ثبتهم الله على الحق، وأن يعينهم على الالتزام به، قال تعالى: **[إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ]**[128: النحل]، وقال: **[وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ]**[149: البقرة]، ومعيّة الله للمؤمنين معية "حفظ وتوفيق وتسديد ونصرة"[113]، ودعا الله سبحانه إلى التعاون على البر والتقوى، وليس على الإثم والعدوان، قال Y: **[وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ]**[2: المائدة]، فكيف يطلب أن يعين الله من كانوا على الباطل؟! أليس طلب الإعانة لهم على باطلهم هو من التعاون على الإثم والعدوان؟! وكيف يصح شرعاً وعقلاً أن يقرر أحد من الناس أن الله يعين أهل الباطل على باطلهم؟! أليس هذا هو من الكذب على الله، والتقوّل عليه بغير علم؟!.

والصواب أن يقال: اللهم أعنّا على الحق، ووفقنا لاتباع صراطك المستقيم، وأعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ونحو ذلك.

الخاتمة

أ - النتائج:

وبعد: ففي ضوء ما تقدم يمكن استخلاص النتائج التالية:

1 – هناك بعض الألفاظ التي تجري على ألسنة الناس في المجتمع الأردني، تخالف العقيدة الإسلامية، والناس لا يتنبّهون لخطورتها.
2 – إن أكثر من تجري هذه الألفاظ على ألسنتهم لا يقصدون المعنى الذي يدل عليه ظاهر اللفظ، وإنما يتلفظون بها بحسن نية.
3 – إن التلفظ ببعض ما تقدم ذكره من الألفاظ قد يكون كفراً, ولكن الحكم بالكفر على من يتلفظ بتلك الألفاظ، لا يرتبط بنية القائل، فهذا أمر لا يعلمه إلا الله تعالى، وإنما نحاكم اللفظ، ببيان وجه المخالفة فيه، ومن ثم فإن الحكم بالكفر على القائل يحتاج إلى احتياط، فقد تكون المقالة كفراً، ولكن ذلك لا يستلزم تكفير قائلها، إلا بعد وجود القرينة الدالة على أنه أراد الكفر بقوله.

4 – إن التلفظ بكثير من الألفاظ التي سبق الحديث عنها، لا يعتبر كفراً، وإنما يحرم التلفظ بها، إذا كان المتلفظ على علم بالحكم الشرعي لذلك.

5 – إن للنية تأثيراً في اختلاف الحكم المترتب على التلفظ بالألفاظ التي سبق الحديث عنها، فمن كانت نيته حسنة كان حكمه أخف بكثير ممن كانت نيته سيئة، إذا كان يعلم حرمة التلفظ بما سبقت الإشارة إليه، وفي جميع الأحوال لا يصح التلفظ بالألفاظ التي تخالف العقيدة الإسلامية، بعد معرفة الحكم الشرعي بذلك.

6 – إن شيوع هذه الألفاظ يرجع إلى الجهل بالإسلام، وإلى التأثر بالديانات المحرفة، والفرق الإسلامية، التي أحدثت في دين الله تعالى ما لا يتفق مع العقيدة الصحيحة.

7 – إن هناك بدائل كثيرة لهذه الألفاظ المخالفة، وهذه البدائل موافقة للعقيدة الإسلامية.

ب -التوصيات:

من المناسب تنبيه المسلمين إلى الأخطاء التي يقع فيها بعض المسلمين، والمتعلقة بالعقيدة الإسلامية، وذلك من خلال المساجد ووسائل الإعلام المختلفة، وبيان الألفاظ البديلة، والموافقة للعقيدة الإسلامية, لأن ذلك يسهم في صيانة عقيدة المسلمين عن كل ما يشوب صفاءها,وهو من التواصي بالحق الذي حث عليه الإسلام، والقيام بواجب الأمانة التي حملها الإنسان.

والحمد لله رب العالمين ،،

الهوامش:

(1) انظر: حاجي خليفة: مصطفى بن عبدالله، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**, وكالة المعارف، استانبول، تركيا، 1362هـ/1943 م، م2 ص192.

(2) انظر:حاجي خليفة, **كشف الظنون**، م1، ص 848.

(3) انظر: الزركلي: خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط6، بيروت، 1984، م1 ص91.

(4) انظر: إبراهيم مصطفى وجماعته، **المعجم الوسيط** ص192، **والقاموس المحيط** مادة: حلف.

(5) سابق: سيد, **فقه السنة**, م3، ط1، دار الفكر, بيروت, 1397هـ/1977م، م3، ص108.

(6) انظر: الموصلي الحنفي: عبدالله بن محمود بن مودود, **الاختبار لتعليل المختار** , م1، ط مصطفى **البابي الحلبي**, القاهرة، ط2 1370هـ/1951م، ج4 ص50.

(7) **أخرجه البخاري في صحيحه** ، كتاب الأدب، باب: من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً، ورقمه 6108، انظر: ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري** ، م13، المكتبة السلفية، م10، ص516.

(8) **أخرجه مسلم في صحيحه** , كتاب الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله. انظر: النووي: يحيى بن شرف، **صحيح مسلم بشرح النووي** ، م18، دار الفكر، بيروت م1، ص168.

(9) انظر ابن باز: عبد العزيز، **مجموع الفتاوى** ، م5، جمع وإشراف: محمد بن سعد الشويعر، ط. دار أولي النهي، الرياض، 1413هـ/1993، م3 ص143.

(10) النووي: **الشرح**، م1، ص168.

(11) انظر: الخطابي:حمد بن محمد (ت 388هـ)، **معالم السنن**، م4، ط2 المكتبة العلمية، بيروت، 1401هـ/ 1981م، م1، ص121.

(12) **أخرجه أبو داود في سننه**، كتاب الإيمان والنذور، باب: في كراهة الحلف بالأمانة، ورقمه 3253، انظر: **السنن**، م4، مكتبة الرياض الحديثة، م3، ص223.

(13) الخطابي: **معالم السنن**، م4، ص46.

(14) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ) ، **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، ط2 المطبعة السلفية، 1400هـ، ص132–133.

(15) ابن عثيمين: محمد بن صالح، **فتاوى العقيدة** ، دار الجيل، بيروت، 1414هـ/1993م، ص279.

(16) ابن تيمية، **قاعدة جليلة**، ص141.

(17) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**, ج4، ص 185.

(18) **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، ص422.

(19) البيهيقي: أحمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ), **شعب الإيمان**, ج2 ص193.

(20) **أخرجه البخاري في صحيحه** كتاب **الأيمان والنذور** ، باب: كيف كانت يمين النبي υ ورقمه 6632.

(21) ابن حجر، **الفتح**, ج11، ص528.

(22) الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد المفضل (ت 503هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م، ص357.

(23) أخرجه الطبراني في **المعجم الأوسط** ، 698، وفي **المعجم الكبير** مختصراً، 9922. قال الهيثمي في **مجمع الزوائد** ، م 9، ص50: رواه الطبراني في **الأوسط والكبير**، وفيه محمد بن محصن العكاشي، وهو متروك.

(24) **أخرجه مسلم في صحيحه** ، كتاب الآداب، باب: ما يستحب من الأسماء. انظر النووي **الشرح** ، م 14، ص113.

(25) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل (ت 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم** ، م4، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، م3، ص174- 175.

(26) انظر: الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، **القاموس المحيط**، ط2، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1407هـ/1987م، ص471.

(27) الشوكاني، **الفتح**، م2، ص338.

(28) إبراهيم مصطفى وجماعته، **المعجم الوسيط** ، دار الدعوة، استانبول، تركيا، 1410هـ/1989م، ص805.

(29) انظر: الفيروز آبادي، **القاموس**، ص780.

(30) الشوكاني، **الفتح**، م5، ص47.

(31) انظر: إبراهيم مصطفى وجماعته,**المعجم الوسيط** ص667، الأصفهاني, **المفردات** ص 411-412.

(32) أيّ انكاره ورده. انظر: **المعجم الوسيط** ص 288.

(33) الأصفهاني، **المفردات**, ص412.

(34) انظر: القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1387هـ/1967، ج19، ص28.

(35) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب الإيمان، باب: ما جاء أن الأعمال بالنية، انظر: **الفتح** م1، ص135.

(36) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، ورقمه 3208، انظر: **الفتح** ، م6، ص303. **ومسلم في صحيحه** ، كتاب القدر، واللفظ له، انظر: **شرح النووي**، م8، ص 192.

(37) انظر: **الفتح**، م11، ص499، ورقمه 6607.

(38) ابن رجب: عبد الرحمن بن شهاب الدين، **جامع العلوم والحكم**، ط3، مصطفى الباني الحلبي، القاهرة، 1382هـ/ 1962م، ص50.

(39) التألّي: الحلف، انظر: النووي، **الشرح** ، م16، ص174. والفيروز آبادي، **القاموس**، ص1627.

(40) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب: تقنيط المسلم من رحمة الله، انظر: النووي، **الشرح** ، م16، ص174.

(41) انظر الفيروز آبادي، **القاموس المحيط** ، وإبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**, مادة قدر.

(42) انظر: الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن** ، ص 441، وسيد سابق، **العقائد الإسلامية**, ط دار الكتاب العربي، بيروت، ص 95.

(43) **أخرجه البخاري في صحيحه** ، كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، انظر: **الفتح** ، م10، ص103، ورقمه 5641.

(44) **أخرجه الترمذي في سننه**، كتاب الزهد، بـاب: في الصبر على البلاء، انظر: **الجامع الصحيح** ، م4، ص28، ورقمه 2510.

(45) الشوكاني: **الفتح**، م1، ص391.

(46) الشوكاني: **الفتح**، م1، ص397.

(47) **أخرجه مسلم في صحيحه** ، كتاب القدر، باب: الإيمان بالقدر والإذعان له. أنظر النووي: **الشرح**، م16، ص215.

(48) انظر ابن عثيمين، **الفتاوى** ، ص534-535 و: آل الشيخ: عبد الرحمن بن حسن، **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، ط الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض، 1403هـ/1983، ص392.

(49) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب التمني، باب قول النبي ε: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت " ورقمه 7229، انظر: **الفتح** ج13 ص218.

(50) **أخرجه البخاري في صحيحه** ، كتاب التفسير، باب ثاني اثنين إذ هما في الغار، ورقمه 4663 انظر: **الفتح**، ج8، ص325.

(51) نقله ابن حجر في الفتح عن الطبري، انظر: **الفتح** ، ج 13، ص 228.

(52) استنتجه القاضي عياض من مجموع الأحاديث التي أوردها البخاري في صحيحه، في كتاب التمني، انظر: **الفتح**، ج13، ص228.

(53) النووي، **الشرح**، ج16، ص 216.

(54) النووي، **الشرح**، ج16، ص 216.

(55) ابن حجر، **الفتح**، ج13، ص 228.

(56) ابن حجر، **الفتح**، ج13، ص23.

(57) الأصفهاني، **المفردات**، ص441.

(58) انظر: ابن عثيمين، **الفتاوى**، ص536.

(59) ابن عثيمين، **الفتاوى**، ص536.

(60) الأصفهاني، **المفردات**، ص255.

(61) انظر: ابن كثير، **التفسير**، م2، ص375.

(62) **المصدر السابق**، م2 ص375.

(63) انظر: العثيمين: محمد بن صالح، **شرح العقيدة الواسطية**، تحقيق: نبيل بن صلاح بن سليم، ط1، دار العقيدة، القاهرة، 1424هـ/2003م، ص210-213.

(64) الشوكاني: **الفتح**، م2، ص369.

(65) ابن كثير، **التفسير**، م1، ص410.

(66) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل، فهو كما قال. ورقمه 6103. انظر: ابن حجر: **الفتح**، م10، ص514.

(67) ابن حجر، **الفتح**، م10، ص 515.

(68) **أخرجه أبو يعلي والحاكم**، واللفظ له، وقال صحيح الإسناد. انظر المنذري: عبد العظيم بن عبد القوي(ت 656هـ) **الترغيب والترهيب**, م4، ط3، مصطفى الباني الحلبي، القاهرة 1388هـ/1968م م3 ص607.

(69) النووي: يحيى بن شرف (ت 676هـ)، **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ε**، ط4، مصطفى الباني الحلبي، القاهرة، 1375هـ/1995م، ص319.

(70) **أخرجه ابن ماجه** من حديث بريدة، انظر: المنذري، **الترغيب**، م3، ص606.

(71) **أخرجه مسلم في صحيحه** . كتاب الأدب، باب: النهي عن سب الدهر. انظر النووي: **الشرح**، م15، ص2.

(72) انظر: **المصدر السابق**، م15، ص3.

(73) انظر: **المصدر السابق**، م15، ص3.

(74) الأنواء: " ثمانية وعشرون نجماً، معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، في الصيف والشتاء والربيع والخريف، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة، نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر، يقابله في المشرق من ساعته، وكلاهما معلوم مسّمى، وانقضاء هذه الثمانية وعشرين كلها مع انقضاء السنة، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة، فكانت العرب في الجاهلية، إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا: لابد من أن يكون عند ذلك مطر ورياح، فينبسون كل غيث يكون عند ذلك إلى النجم الذي يسقط حينئذ، فيقولون: مطرنا بنؤ الثريا والدّبران والسّماك وما كان من هذه النجوم فعلى هذا. فهذه هي الأنواء، واحدها: نوء، وإنما سمي نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق للطلوع، فهو ينوء نوءاً، وذلك النهوض هو النوء، فسمي النجم به، وكذلك كل ناهض بثقل وإبطاء، فإنه ينوء عند نهوضه". الهروي: أبو عبيد القاسم بن سلاّم (ت 224هـ /838م) **غريب الحديث** ، م4، ط1، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، الهند، 1384هـ/ /1964م، م1، ص320-321.

(75) المنذري، **الترغيب والترهيب**، م3، ص482.

(76) النووي، **الشرح**، م15، ص3.

(77) انظر: ابراهيم مصطفى وجماعته، **المعجم الوسيط** ، م1، ص169، والفيروز آبادي، **القاموس المحيط** ، ص1411.

(78) انظر: الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ص1058.

(79) الأصفهاني، **المفردات**، ص505.

(80) **أخرجه الترمذي في سننه**، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في اللّعنة. ورقمه 2042، وقال عنه: حديث حسن صحيح، انظر: **الجامع الصحيح**، م3، ص263، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب: في اللعن، ورقمه 4906. انظر: أبو داود: سليمان بن الأشعث (ت 275هـ)، **سنن أبي داود**، ط دار الفكر.

(81) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب الأدب، ورقمه 6105، **ومسلم في صحيحه** كتاب الأيمان، ورقمه 110.

(82) **أخرجه مسلم في صحيحه**، كتاب البر والصلة، ورقمه 2598.

(83) **أخرجه أحمد في مسنده**، انظر: **المسند**، م2، ص559، ورقمه 7414.

(84) **أخرجه مسلم في صحيحه**، كتاب الزهد، انظر: النووي، **الشرح**، م18، ص139.

(85) **أخرجه البخاري في صحيحه** كتاب الأدب، باب: قذف العبيد، ورقمه 6858، انظر: ابن حجر، **الفتح**، م12، ص185. والمراد بقوله ε (إلا أن يكون) المقذوف.

(86) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب الطب، باب: لا هامة، ورقمه 5757، انظر: **الفتح**، م10، ص215.

(87) **أخرجه مسلم في صحيحه**، كتاب السلام، باب: لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، انظر: النووي، **الشرح**، م14، ص213.

(88) **الفتح**، م10، ص212، وانظر: البغوي: الحسين بن مسعود الفراء (ت 516هـ) **شرح السنة**، م16، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط 1، المكتب الإسلامي، 1390هـ/1971م، م12، ص170.

(89) انظر: البغوي، **شرح السنة**، م12، ص174.

(90) **الأذكار**، ص318.

(91) ابن كثير، **التفسير**، م2، ص11.

(92) العِوَض (بكسر العين وفتح الواو): البَدَل والخَلَف، **المعجم الوسيط**، ص637.

(93) الهامة: كانت العرب تقول: إن عظام الموتى تصير هامة فتطير، وكانوا يسمّون الطائر الذي يخرج من هامة الميت إذا بلي: الصّدى، انظر: أبو عبيد الهروي: القاسم بن سلام (ت 224هـ – 838م)، **غريب الحديث**، م1، ص26–27.

(94) الهروي، **غريب الحديث**، م1، ص26–27.

(95) البغوي، **شرح السنة**، م12، ص170–171.

(96) انظر: ابراهيم مصطفى وجماعته، **المعجم الوسيط**، ص647.

(97) النّعيب: صوت الغراب، يقال: نَعِب الغراب نعْباً، ونعيباً: صوّت، انظر: ابراهيم مصطفى وجماعته، **المعجم الوسيط**، ص 933.

(98) **تقدم تخريجه**، انظر: هامش رقم (151)

(99) بُرُوح الطير: مرورها من يمين الرائي إلى يساره، يقال: بَرَح الطير، بَرْحاً وبُروحاً، فهو بارح. انظر إبراهيم مصطفى وجماعته، **المعجم الوسيط**، ص47، والسُنوح: اليمين والبركة، وهو عكس البروح، إذ هو مرور الطير من يسار الرائي إلى يمينه، والعرب يتيمنون به. انظر إبراهيم مصطفى وجماعته، ص453، **المعجم الوسيط**، والفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة: سنح.

(100) البغوي، **شرح السنة**، م12، ص170.

(101) ابن حنبل: أحمد، **المسند**، كتاب الزهد، انظر: المسند، تحقيق: عبد العلي حامد، ط 2، دار الريان للتراث، القاهرة، 1408هـ، م1، ص238.

(102) انظر: أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصفهاني، **حلية الأولياء**، ط دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ، م4، ص4–5. والأزدي: معمر بن راشد، **الجامع**، ط2 المكتب الإسلامي، بيروت، 1403هـ، م10 ص406، باب الطيرة، ورقمه 19513، والذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ، م5، ص40، وقال:" لا تمش معي " بدل: "لا تسر معي " والمعنى واحد.

(103) **أخرجه مسلم في صحيحه**، كتاب السلام، باب: الطيرة والفأل.انظر: النووي، **الشرح**، م 14، ص220.

(104) النووي، **الشرح**، م14، ص219.

(105) انظر الشوكاني، **الفتح**، م2، ص161.

(106) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب الجنائز، باب:

قول النبي ε: "يعذَّب الميت ببعض بكاء أهله عليه"، ورقمه 1284، انظر: **الفتح**، م3، ص150–151.

(107) النووي، **الأذكار**، ص136، وانظر ما بعدها.

(108) من حديث **أخرجه البخاري في صحيحه** ، كتاب الوصايا، باب: قول الله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى....) ، **ومسلم في صحيحه** ، كتاب الإيمان، باب: بيان أكبر الكبائر.

(109) **أخرجه البخاري في صحيحه** ، كتاب الدعوات، باب: التعوذ من فتنة المحيا والممات، ورقمه 6367.

(110) انظر: الجريسي: خالد، **الفتاوى الشرعية في المسائل العصرية، من فتاوى علماء البلد الحرام** ، ط1، مؤسسة الجريسي للتوزيع، الرياض 1420هـ/ 1999م، ص1661.

(111) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب التفسير، سورة الجاثية، ورقمه 4826، انظر: **الفتح**، م8 ص574.

(112) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، **زاد المعاد في هدي خير العباد**تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، م 5، ط1 مؤسسة الرسالة، 1399هـ/1979م، م2 ص354–355.

(113) البليهي: صالح بن إبراهيم، **عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين**، م2، ط2، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، 1404هـ، م2 ص144.